



اثر الثقافة العربية الإسلامية في اكتساب العربية وآدابها

في السودان الغربي

The Influence of Arabic-Islamic culture in the Acquisition of Arabic literature in western Sudan

د. رياض بن الشيخ أكسين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

r.bencheikh@hotmail.com

تاريخ القبول: 2019-01-21

تاريخ الإرسال: 2018-09-19

الملخص:

نحاول في مقالنا هذا إمطة اللثام عن جزء ضئيل من رصيد معرفي هائل، يشوي بمنطقة إفريقيا جنوب الصحراء (السودان الغربي) التي كان للثقافة العربية الإسلامية، فتحة عظيمة عليها، كما كان لإسهام علماء العربية الموسوعيين من المغرب ومن المشرق، أثر واضح في نشأة ونشر الحركة العلمية في تلك البلاد، واندلعت منها حركة الشعر باللغة العربية ولاسيما في إقليم الهوسا، حتى شهدت تفوقا يضاهي في البلاد العربية نفسها، ويرجع السبب المباشر في ذلك إلى إخلاص العلماء العاملين في دعوتهم وتعليمهم، كما تعلق طلبة العلم باللغة العربية وأعلوا مكانتها، لأن تاريخها مرتبط بانتشار الإسلام هناك، ولأنها لغة شاعرية أجادت القصيدة العربية بجودتها وقوتها بقوتها.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية - التعليم - الشعر - السودان - الهوسا

ABSTRACT:

The present paper is an attempt to andisclose a small part of knowledge balance in the African continent sahara (Western Sudan) , where Arabo-Islamic culture had its impact , in addition to the contribution of Arabic language encyclopedic



أثر الثقافة العربية الإسلامية في اكتساب العربية ----- د. رياض بن الشيخ الحسين

scholars from the East and the West and the role they played in the foundation and spread of the scientific movement in the area . Such action led to the emergence of a poetic movement namely in the Haoussa region which witnessed an excellence similar to that in the Arab world itself .It is thanks to the preaching and teachings of the aforementioned scholars that pushed the learners to love Arabic and give it the importance it deserves because it is deeply rooted in the history of the spread of Islami and got its strength and quality from the Arabic poem.

Keywords : Arabic Language, Teaching, Poetry, Sudan, Haoussa .

المقدمة:

الدارس لتاريخ المجتمعات والقبائل الصحراوية في منطقة إفريقيا جنوب الصحراء (السودان الغربي)*، في الفترة ما بين القرنين الثاني والرابع عشر الهجريين/الثامن

*- أطلق المؤرخون والجغرافيون والرحالة العرب في العصور الوسطى، على الأقوام الذين يقيمون في هذه المنطقة (فيما وراء الصحراء الكبرى) الممتدة من البحر الأحمر شرقا حتى المحيط الأطلسي غربا، اسم بلاد السودان، وهي أقوى أجزاء القارة الإفريقية علاقة بالشمال الإفريقي، من حيث التأثير والتأثر، ويشمل السودان الغربي المناطق الواقعة بين حوض نهر السينغال والحوض الأوسط لنهر النيجر والمجرى الأعلى لنهر فولتا (نقلا عن الشيخ أمين عوض الله: العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين: مالي وسنغاي. دار الجمع العلمي. جدة السعودية 1979 ص 41.

ويقطن في منطقة السودان الغربي مجموعة من القبائل والأجناس، من أصول زنجية أو حامية أو سامية، انتقلت إلى هذه الأقاليم بوساطة الهجرة، واندجت فيها بالمصاهرة، وأهم هذه القبائل: العربية - التارقية - التكرور - السنغاي - الفالانة = = المووشي - الوولوف - السوننك - البمبارة، ويشير بعض



أثر الثقافة العربية الإسلامية في اكتساب العربية ----- د. رياض بن الشيخ الحسين

والعشرين الميلاديين (2-14هـ / 8-20م) سيجد أن هذه الصحراء الشاسعة بأثمارها ووديانها، وكتبان رملها وسلاسل جبالها، وغاباتها ومدنها، وقراها وآثارها الرائعة جميعا والمقفرة المخيفة في بعضها، يكون أجدادنا قد شقوا أديمها في حركة دؤوبة لا تعرف التوقف، من خلال رحلتهم الحضارية المتوالية، المتولدة عن حبهم وتطلعهم لنسج علاقاتهم المتعددة الجوانب مع الأقوام الأخرى، ولعل أهم هذه الوشائج وشيجة التجارة، التي كانت مبعثا للاطلاع على أحوال هؤلاء الأقوام، وإطلاعهم هم أيضا على حضارتنا ومستجدات حياتنا اليومية، وقد ازدادت العلاقات نموا وتطورا بين العرب المسلمين في المغرب، وأهالي السودان الغربي بدخول الإسلام شمال القارة الإفريقية، وتوثيق الصلة مع هذه الأقاليم، وأخذها بما قدم لها من تأثيرات متعددة ومتنوعة، تأتي في مقدمتها، المؤثرات الدينية والثقافية، فجعلت الحياة الفكرية في هذه المناطق، تتلون بالألوان وتتمظهر بالمظاهر العربية الإسلامية، كما نتج عن علاقة التأثير والتأثر ما أفضى أيضا لتقوية الروابط الاجتماعية، بين أبناء هذه الأقاليم واختلاط دمائهم بواسطة المصاهرة، وبروابط أخرى، أدت إلى تشكيل بنية اجتماعية جديدة بدم وروح جديدين، كان لانتشار الإسلام واللغة العربية فعل جلي فيها، ومن نتائج التأثير أيضا تشييد المنارات

المؤرخين إلى أن من العرب أقوام انصهروا في بقية سكان السودان الغربي، فصاروا منهم، ويفتخرون بنسبهم العربي، وهم موزعون بين السينغال ومالي والنيجر، ومنهم من يسمون بالهنيهي - الكونتة - البرابيش - أولاد سليمان - أولاد أعيش - الفولانيين - السكاكنة - أولاد غلان - أفوغاس الحساونة - أولاد يعقوب وغيرهم، ويمكن الرجوع للتوسع أكثر إلى كل من: أبي عبد الله البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، مكتبة المثنى بغداد - العراق. د ت، ص 179، وإبراهيم طرخان: إمبراطورية غانا الإسلامية، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، القاهرة 1970 ص 19.



أثر الثقافة العربية الإسلامية في اكتساب العربية ----- د. رياض بن الشيخ الحسين

العلمية التي عملت على نشر العلوم العربية كاللغة والفلك والمنطق والحساب والطب وغيرها من العلوم الحضارية، حيث لم يخل ناقلوها بإشعاعها على كافة الأماكن فيها، فسهرروا على نقل تراثهم المكتوب والشفوي إليها، ولا سيما ما تعلق بعلوم الدين والأدب، والعادات والتقاليد الاجتماعية، وسنقصر بحثنا على العلاقة الثقافية القائمة على أساس التواصل اللغوي والديني والعلمي والاجتماعي والأدبي، وأهم العلماء والأدباء المجسدين لهذه الأنواع من العلاقات.

سننطلق في توسيع هذا الموضوع أولاً، من الحديث عن تعلم اللغات بين أهل المنطقة وهي الوسيلة التي تمد جبال التواصل بين هؤلاء الأقوام، وتنمي التعاطي مع علوم اللغة العربية الأخرى وآدابها ولا سيما الشعر، الذي يشكل محور هذه الدراسة.

تعليم اللغة:

توجد بإفريقيا جنوب الصحراء بيوت تعرف بالعلم يرتادها طلبة العلم، فينهلون منها الكثير من العلوم الشرعية والفكرية، فكان لهذه الدور والمؤسسات والمعاهد موقفاً بارزاً في إثراء الحركة الفكرية، لأن التعليم بهذه البلاد كان يحظى بمكانة متميزة في قلوب الحكام والمحكومين، لأنه السبيل إلى نيلهم أرقى المناصب والمكانات في المجتمع، التي تتيح للمتعليم الحصول على قدر ملموس من التحصيل العلمي والمعرفي، فكان السلم التعليمي يمر بثلاث مراحل هي:

مرحلة التعليم الأولي والذي يكون مقره الكتاتيب، ثم مرحلة التعليم المتوسط حيث تتم في مدارس خاصة به أو بالمساجد، يلتحق بها المتعلم بعدما يكمل تعليمه الأول بنجاح، وبعد أن يتعرض طالب العلم إلى صقل معرفته وتزويد مخزونه الثقافي ببعض الدروس المتعلقة باللغة والعلوم الشرعية الأخرى، التي ينهلها بتوجيه من أساتذته وشيوخه من المؤلفات التي يختارونها له، فتبدأ بسيطة ثم تتدرج نحو ما هو أعمق ومفصلاً أكثر،



أثر الثقافة العربية الإسلامية في اكتساب العربية ----- د. رياض بن الشيخ الحسين

ينتقل بعدها المتعلم إلى المرحلة الموالية من التعليم وهي مرحلة التعليم المتقدم أو العالي، وقد عرفت منطقة "تمبكت" خاصة باحتضانها لهذا النوع من التعليم من خلال جامعتها المشهورة "سنكري" التي كانت مقرا للتدريس بالإضافة إلى بعض المساجد والزوايا التي تقيم بالتعليم المتقدم كما يشير إلى ذلك المؤرخ عبد الرحمن السعدي في كتابه "تاريخ السودان"¹، وقد كانت مناهج التدريس فيها متوسعة ومعقدة تخضع لها أمهات المؤلفات الكبيرة مثل: كتب القاضي عياض وكتب المغيلي وموطأ مالك والخزرجية وتحفة الحكام ومقدمة التاجوري... وغيرها²، ويلاحظ أن تزويد هذه المؤسسات العلمية بالكتاب والخبرة العلمية كان على عاتق الجوامع العربية المعروفة (الأزهر، الزيتونة، القرويين، ليبيا) حيث كانت تربطها علاقات ثقافية وعلمية متينة، ومن بين هذه العلوم التي كانت تعطى لطلبة العلم بهذه المراحل، العلوم اللغوية والأدبية، حيث تعد من بين العلوم المهمة التي كانت تدرس بإفريقيا جنوب الصحراء، اعتمادا على مصادرنا الأساسية ونفائس المؤلفات التي كانت شائعة في كل الجوامع والمعاهد العربية والإسلامية آنذاك، كمؤلف: "تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد" لابن مالك، وهو كتاب يختص بعلم النحو، ومؤلف "شرح الكافية الشافية في علم النحو"، وكتاب "الأصول" لابن السراج والخزرجية و"تلخيص المفتاح وشرحه في البلاغة"³، وإذا اعتبرنا اللغة كما يعرفها العلامة اللغوي أحمد بن عمر أقيت المتوفى سنة (965 هـ - 1538م) هي: "ضبط المفردات" على ما

¹ - الهادي مبروك الدالي: التاريخ الحضاري لإفريقيا في ما وراء الصحراء من نهاية القرن 15 إلى بداية

القرن 18 جامعة القاهرة . مصر، ط2، 2001، ص 167.

² - المرجع نفسه: ص 167.

³ - المرجع نفسه: ص 184.



أثر الثقافة العربية الإسلامية في اكتساب العربية ----- د. رياض بن الشيخ الحسين

تكلمت به العرب وشرح معانيها¹ وأن موضوع هذا العلم يختص بالكلمات العربية فيبحث في حركاتها الإعرابية والبنائية، ويكون القصد منه فهم كلام العرب وكذا إدراك معاني ومقاصد كتاب الله تعالى وسنة رسوله وتفسير الأحكام الفقهية، فإن هذا العلم الآلي الذي حرص علماء المغرب والعارفون به، على نقله إلى مناطق إفريقية جنوب الصحراء والذي يطلق عليه اسم "علم النحو" فإنه يعد أحد العلوم الأساسية التي كانت تتربع على رأس الحركة العلمية في الحياة الإفريقية جنوب الصحراء، من أجل أن يستقيم لسان أهلها ويتدرب على النطق بالعربية، ويحترز من الوقوع في الخطأ اللساني، ناهيك عن الخطأ الذي قد يصيب المعتقد، وقد برع في تدريس علم النحو عدد من العلماء أهمهم العالم أحمد بن عمر أقيت، الذي كان يجمع مع النحو علوما أخرى برع فيها كالفقه والعروض، حيث كان يشهد له فيها بالتحصيل والإحاطة²، وبالإضافة إلى هذا العالم الجليل عالم آخر لا يقل اقتدارا عن سابقه هو أبو عبد الله أحمد بابا بن الأمين المختار التنبكي (1014هـ - 1595م) صاحب مؤلف "المنح الحميد في شرح الفريد"، وغير هذين العالمين علماء أجلاء آخرون اهتموا بعلم النحو من أبناء إفريقية جنوب الصحراء، وهذا ما نؤكد به مكانة علم النحو التي لم تكن تبتعد عن مكانة الدين، وقد كانت لهؤلاء العلماء تأليف انتشرت قراءتها والاستعانة بها في معرفة علم النحو ككتاب: "حاشية القيومية على شرح الآجرومية" لصاحبه العالم الشهير محمد بن عمر أقيت، هذا المؤلف الذي لازال مخطوطا يحفظ بالخزانة الحسنية بالمغرب³، وكتاب المنح الحميد في

¹- المرجع نفسه: ص 184.

²- المرجع السابق: ص 185.

³- المرجع نفسه: ص 184.



أثر الثقافة العربية الإسلامية في اكتساب العربية ----- د. رياض بن الشيخ الحسين

شرح الفريد وهو مختص بالنحو يقوم بشرح ألفية السيوطي¹، هذه الجهود العلمية التي بذلت، تعطي دلالة واضحة على اهتمام علماء منطقة إفريقيا جنوب الصحراء بالعلوم العربية عامة والنحو بصفة خاصة لأنهم يعتبرونه ويصنفونه في أعلى العلوم مرتبة وأغزرها منفعة وهم في ذلك يكرسون الأهمية ذاتها التي كان علم النحو يحظى بها في بلاد المشرق والمغرب العربيين فيكشف بذلك عن علاقة التأثير والتأثر التي كانت سائدة بين المنطقتين، والتي نتج عنها من بين ما نتج، الانتشار الواسع للغة العربية على حساب اللهجات المحلية التي شهدت انحسارا ملموسا بعد ما كانت منتشرة في تلك المنطقة²، وخوفا من انتشار اللحن في النطق باللغة العربية بذل علماء النحو جهودا كبيرة في استنباط القواعد من مصادرها حفاظا على هذه اللغة، و صار تعلم النحو وتحصيله ضرورة لمعرفة سنن العربية وأساليب العرب في الكلام ليتوصل من يريد الأخذ بنصوصها لاسيما نصي القرآن والحديث نطقا وكتابة وتأويلا إلى إدراك المعاني والمقاصد على حقيقتها من غير العرب الذين قصدهم ابن جني في تعريفه لعلم النحو بقوله: "هو انتحاء سميت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقيق والتكسير والاضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللغة بأهلها في الفصاحة فينطق بها..."³، فيشير بذلك إلى أن علم النحو مستمد من كلام العرب ويمكنه أن يشمل الذين لا ينتمون لهذا الكلام عندما يصبحون قادرين على أدائه ويعرفون مسالك الفصاحة فيه، لكن سر مكانة علم النحو لا تنحصر في وظيفته الآلية كمعرفة

¹ - المرجع نفسه: ص 185.

² - مطير سعد غيث أحمد: الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال 10 و 11 هـ - 16 و 17 م، دار الكتب الوطنية، ليبيا، ص 115.

³ - ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت. لبنان، جزء 1، ص 34.



أثر الثقافة العربية الإسلامية في اكتساب العربية ----- د. رياض بن الشيخ الحسين

المنصوب والمرفوع والمجرور والمبني والمغرب من كلام العرب فقط بل تتعدى ذلك إلى التحكم في دلالاته ومقاصده، وعلى هذا النحو انتحى عدد من أعلام إفريقيا جنوب الصحراء، وكان لهم في ذلك باع طويل، فإرادة امتلاك اللغة كانت تمثل بالنسبة لأئمتهم مطلباً واجب التحقيق، لأن الغاية الشريفة العليا هي إدراك مقاصد القرآن الكريم والسنة النبوية دون إعمال أي حساب للبعد العرقي لأن كتاب الله تعالى "... هو أصل الدين والدنيا المعتمد ومعرفة أخبار النبي صلى الله عليه وسلم وإقامة معانيها على الحقيقة"¹، وقد سبق اتفاق علماء النحو على أن علم النحو وضع لتفادي اللحن الذي عد في مرتبة اقتراف الذنب عند القدماء وقد قال ابن فارس في هذا الشأن: "وقد كان الناس قديماً يجتنبون اللحن فيما يكتبونه ويقرؤونه اجتنابهم بعض الذنوب"²، وقد كان لتأثير الدرس النحوي المغربي أثر واضح على متعلمي ومثقفي إفريقيا جنوب الصحراء "السودان الغربي" وقد بلغ هذا التأثير مستوى مهيمناً على كل المستويات بدليل المدارس التي كانت منتشرة في المنطقة والتي كانت تدرس الفقه المالكي إلى جانب تدريس الكتب النحوية التي كانت متداولة بالمغرب وكادت هذه المدارس أن تكون وجهاً من وجوه المدارس المعروفة في فاس والقيروان وتلمسان، ولعل السبب الأساسي في ذلك يرجع إلى أن انتشار الإسلام في هذه الربوع تم عن طريق المغرب، فكان محملاً بكل آثاره وطبوعه

¹ - أبو القاسم الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس، بيروت. لبنان، ط5، 1986، ص 96.

² - ابن فارس: الصحاح في فقه اللغة، تحقيق مصطفى الشويخي، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت. لبنان، 1964، ص 66.



أثر الثقافة العربية الإسلامية في اكتساب العربية ----- د. رياض بن الشيخ الحسين

المغربية وأهمها الثقافة والتقاليد¹، بالإضافة إلى أن طريقة التأليف المنتهجة من طرف علماء منطقة السودان الغربي كانت هي ذاتها الطريقة المتبعة بالمغرب بدليل مؤلفات الفقيه السوداني الغربي المعروف أحمد بابا التنبكي التي بلغت ما يزيد عن الثلاثين مخطوطا كتبت بطريقة مغربية بحتة مقتفية منهجا مغربيا واحدا²، ويجب أن نشير إلى أن هذا الانتعاش العلمي والثقافي الذي شهدته هذه المنطقة قد نجم عن ظاهرة التقاء ثقافتين نتج عنهما احتكاك بالعناصر الثقافية الفاعلة لدى الجانبين، انبثق عنه بروز لمجموعة من الظواهر العلمية والحضارية، ومن بينها انتشار اللغة العربية إلى جانب اللغات المحلية، التي عرفت انتشارا واسعا هي أيضا وتعلقا متميزا لأهلها بما مثل الهوسا والفلانية والسنيغالي والمالينكية والسوننكي، وهي لغات تمزج بين العربية واللغات الإفريقية القديمة، وكانت تكتب بالخط العربي³، ولعل أهم عامل يذكر في هذا الصدد، إنما هو إنشار الإسلام الذي يعني بدهاء، انتشار اللغة العربية معه، فهي لغة دستور هذا الدين الوافد، الذي أستقبل بحفاوة وتفاعل شديدين، وقد انجر عن ذلك إثراء اللغة العربية للغات المحلية التي ذكرناها أضف إلى ذلك الإقبال الشغوف للأهالي المسلمين الجدد على تعلم اللغة العربية وتقديسها، لأنها من قداسة الدين الجديد وهي لغة الشعائر التعبدية وعلى رأسها تعلم القرآن وتلاوته، ويمكن أن نشير لعوامل أخرى نراها من الأهمية بمكان، هي وجود العنصر العربي في تلك المنطقة، قبل مجيء الفتح نتيجة الاختلاط والمصاهرة، بسبب هجرة

¹ - حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، دار النهضة العربية، القاهرة. مصر، 1963، ص 266.

² - المرجع السابق: ص 267.

³ - محي الدين صابر: العرب وإفريقيا. العلاقات الثقافية، المكتبة العصرية، بيروت. لبنان، 1987، ص 12، 13.



أثر الثقافة العربية الإسلامية في اكتساب العربية ----- د. رياض بن الشيخ الحسين

القبائل العربية ومن بينها: بنو هلال وبنو معقل وبنو سليم بداية من القرن الخامس الهجري¹، وكذا الإفتاء بإجماع الأئمة بحرمة قراءة القرآن وممارسة الشعائر، ومنها الصلاة خاصة بغير اللغة العربية، مما شجع المسلمين المتحمسين والمتعطشين على تعلم لغة القرآن الكريم من ناحية، والتضلع في معرفة تفاصيلها وسائر علومها من ناحية ثانية وتعلم العلوم الشرعية الإسلامية بها من ناحية ثالثة، وقد انتبه الباحث إبراهيم علي طرخان إلى وضعية اللغة العربية في مجتمعات غرب إفريقيا، وأهتم بالحظوة التي حظيت بها في قلوب الأفراد فشبها بوضع اللغة اللاتينية في أوروبا العصر الوسيط، فأشار إلى ذلك بقوله: "ويشبه هذا ما كان عليه وضع اللغة اللاتينية عند الملوك الجرمان والشماليين وشعوبهم، فهم يتكلمون بلغاتهم الأصلية الفرنجية والنورمانية أو الواندالية أو القوطية أو السكسونية بجانب اللغة اللاتينية، لكن العبادة والحكومة والثقافة والآداب والقوانين فباللغة اللاتينية"²، أما عن الخط الذي تكتب به اللغة العربية في هذه المنطقة فقد تأثر بالخط المغربي أو ما يعرف بالهندسة المغربية وبنقوشها³، من حيث إعجام الحروف وترتيبها، وما يعرف أيضا بالخط الكوفي، وفي ما بسطنا من القول دلالات واضحة على أثر اللغة العربية في اللغات المحلية ببلاد السودان الغربي.

¹ - إبراهيم علي طرخان: الإسلام واللغة العربية في السودان الغربي والأوسط، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة. مصر، 1969، ص 71.

² - مسعود عمر محمد علي: تأثير الشمال الإفريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي فيما بين القرنين 8 و10 الهجريين، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس. ليبيا، ط1، 2003، ص 178.

³ - المرجع نفسه: ص، ن.



أثر الثقافة العربية الإسلامية في اكتساب العربية ----- د. رياض بن الشيخ الحسين

الشعر والشعراء:

أما في مجال الأدب، فإن منطقة السودان الغربي عرفت تطورا ملموسا وانتعاشا فيه هو أيضا بانتعاش اللغة العربية، وآية ذلك بروز الأعمال الأدبية التي تدل على نمو الذائقة الأدبية المتجلية في قرض الشعر، الذي يقتفي فيه المبدعون أثر الشعراء العرب القدماء، فقد تناولوا أغراضهم الشائعة كالممدح والرائع، كما أبرزوا معاناتهم النفسية ووصفوا لواعج الشوق والحنين التي ييشونها في قصائدهم تجاه من يحبون، وننوه في هذا الصدد، بتأثير العالم الفقيه والإمام الوافد محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي كان محل إعجاب وتأثر واقتفاء شعراء المنطقة، حيث جمع بالإضافة لبعض المحاسن العلمية نظم الشعر، فكتب العديد من القصائد التي حظيت بإقبال القراء وإعجاب المؤرخين والعلماء ولاسيما قصيدته الميمية التي امتدح فيها الرسول صلى الله عليه وسلم، وينحو فيها نحو "بردة البوصيري" حيث تناص مع وزنها ورويتها وجاء في هذه القصيدة قوله:

بشراك يا قلب هذا سيد الأمم	وهذه حضرة المختار في الحرم
وهذه الروضة الغراء ظاهرة	وهذه القبة الخضراء كالعلم
وقبر المصطفى الهادي وحجرته	وصحبه وبقية دائر بهم
فطب وغب عن هموم كنت تحمله	وسل تنل لك كل ما ترجوه من كرم
يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي	فالعبد ضيف وضيف الله لم يضم ¹

ونجد الشاعر "مود سالم سوار التكروري" الذي يسلك النهج نفسه في نظم الشعر، حيث تعلق به مسحة من نظم الأوراد المتأثرة بالثقافة التقليدية والعلوم الشرعية،

¹ - مطير سعد غيث أحمد: الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين 10 و11هـ/ 16 و17م، ص253، هذه القصيدة نقلت من مخطوط يوجد بمركز أحمد بابا بتنبوكت. مالي وتحتوي على 26 بيتا.



أثر الثقافة العربية الإسلامية في اكتساب العربية ----- د. رياض بن الشيخ الحسين

وتعلوه نبرة خطابية لأن الشاعر يهتم في نص قصيدته بالموضوع أكثر من اهتمامه بالشكل ومن قصائده، نص في مدح الشيخ عبد القادر الجيلاني ومنه قوله:

سعد لنا قطب الوجود إمامنا هو شيخنا وحبينا الجيلاني

سعد لنا وبه استجرنا وكلنا وبه توسلت إلى الرحمن

هو غوثنا ومغيثنا في هولنا ويعودنا حق إلى الرحمن¹

ومن شعر المدح أيضا قصيدة للشاعر الفقيه "المختار بن أبداه" يمدح فيها الشيخ

أحمد بابا التنبكي يقول في مطلعها:

حسبي من آل الشيخ بابا أحمد الطيب الحبيب المحمد

الفاضل المبارك المودد الطاهر الحلال الزبرجد²

ومن الشعراء الفقهاء الذين عرفوا بفن المديح في المنطقة أيضا الشيخ محمد بابا بن

محمد الأمين حبيب الله الذي نظم قصيدة ترحيبية بشيخه الإمام محمد يحيى الولاقي بعد

عودته من رحلة قضاها ببلاد المغرب، يرحب فيها بقدمه ويفتخر بعلو كعبه وشموخ

هامه، وحق لموطنه تنبكت ولقومه أن يتباهوا برجوعه وبمقامه بينهم، ومنها هذه

الآيات:

نيل الرياح أو النجاح السرمدي والسير في النهج القويم السرمدي

فازت به تنبكت دون مغارب ومشارق من كل قطر أبعد

فتباشرت أيامها وتشامت أعلامها من راسيات ركذ

وبحبه من فضله أرجاؤها محمول سر الوحي نور المهدي¹

¹ - المرجع السابق: ص 253

² - المرجع نفسه: ص 254، نقلت من مخطوط بمكتبة عادل الأرواني، تنبوكت. مالي في 31 بيتا.



أثر الثقافة العربية الإسلامية في اكتساب العربية ----- د. رياض بن الشيخ الحسين

لكن الشاعر الفقيه محمد بابا بن محمد الأمين لم يقصر نظمه للشعر على المدح فقط بل تناول غرض الرثاء أيضا، كما يشير إلى ذلك عبد الرحمن السعدي، حيث نظم قصيدتين في رثاء الفقيهين محمد محمود بغيغ وعبد الرحمن²، كما اشتهر من بين هؤلاء الشعراء الفقيه محمد بن أحمد بن محمود بغيغ، الذي نظم قصيدة ذائعة الصيت عرفت بـ"أم البراهين"³، لخص فيها علم التوحيد على غرار الأنظام التي ألفت في علوم أخرى كالنحو والفقه مثل ألفية ابن معطي وألفية ابن مالك في علم النحو.

وذكر المؤرخون أن للفقيه أحمد بابا التنبكي آثارا شعرية أخرى، تتناول موضوعات أخرى أظهر فيها الشيخ الفقيه نبوغا وإجادة في كتابة الشعر الذاتي أو الوجداني، الذي يبرز فيه حالته الشعورية والنفسية ويعبر عن تجربته الذاتية، وهو النوع الذي يتجلى فيه الصدق الفني أكثر، ومنها تصويره لحنينه وشوقه إلى الأوطان والأهل وإلى المربع العزيزة بتبتكت التي تجسدها مقطوعته المتكونة من ثمانية أبيات يقول فيها:

أيا قاصدا كاغو فعج نحو بلدي وزمزم لهم باسمي وبلغ أحبي
سلاما عطيرا من غريب وشائق إلى وطن الأحباب رهطي وجيرتي
وعندي أقارب هناك أعزة على السادة الألة دفنت بغربة
أبيزدهم شيخ الفضائل والهدي وصنو ابن عمي وأقرب أسرتي
وسيفي وسيف البين سل لفقداهم علي وهل الموت ركني وعدتي
ولا ننسى عبدالله ذا المجد والندي فقد مد حزني فقد قوتي وعشري

¹ - محمد الغربي: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، دار الرشيد، بغداد. العراق، 1982، ص 545.

² - عبد الرحمن السعدي: تاريخ السودان، طبعة هوداس، أنجي. فرنسا، 1964، ص 218.

³ - المصدر نفسه، ص 109.



أثر الثقافة العربية الإسلامية في اكتساب العربية ----- د. رياض بن الشيخ الحسين

وشيان بيتي سارعو عن أخيرهم إلى ملك الأملاك في وقت غربتي
فوا أسفا منهم وحزني عليهم فيا رب فارحمهم بواسع رحمتي¹

ويجدر أن ننوه بالجهود التي بذلها هؤلاء المشايخ في جمع عيون الشعر العربي، وحفظه وتعليمه لطلبة العلم، من أجل أن يستقيم عودهم في تعلم اللغة العربية من مظانها، والشعر القديم واحد منها، بالإضافة إلى العامل البيئي، الذي كان مسهما هو أيضا في تشكيل القرائح وصقل المواهب، ومن ذلك جمال الطبيعة الذي كان مصدر إلهامهم، ومؤجج مشاعرهم سواء في حلهم أو في ترحالهم، فتعلق الشاعر بتنبكت مثلا كان دافعا قويا إلى وجده حتى وهو بين أحضانها، وحنينه وغربته وهو بعيد عنها، فهي تشبه في جمالها وروعيتها، ما شبه به الحريري البصرة في العراق في مقاماته².

وهذا ما يجعلنا نؤكد على اهتمام العلماء وطلبتهم باللغة العربية وعلومها وفنونها، وهو ما يعني لنا بأن الثقافة العربية الإسلامية، وجدت مكانتها ونالت حظوتها في قلوب أهل إفريقيا جنوب الصحراء، وإن اهتمامهم بها حقق لها الاستمرارية والازدهار في المنطقة، بفضل حبهم وتمسكهم بالدين الإسلامي الذي فتح لهم أبوابا جديدة لتفجير الطاقات، وإشباع نهم القراءة والمعرفة وانبعث وهج الابداع، ومما يشهد به لأقوام إفريقيا جنوب الصحراء، أنه متى وفد عالم من الشرق أو الغرب بكتاب جديد فإذا بطلبة العلم يتزاحمون عليه وينكبون على قراءته ويحفلون بذلك العالم ولا يفارقونه حتى يستفيدون

¹ - محمد الصغير الإفراي: نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي، تحقيق: عبد اللطيف الشاذلي، كطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1998، ص 173.

² - محمود بن الحاج المتوكل كعت: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، نشر هوداس، باريس. فرنسا، 1964، ص 178، 179.



أثر الثقافة العربية الإسلامية في اكتساب العربية ----- د. رياض بن الشيخ الحسين
من علمه الغزير¹، ولذلك صارت اللغة العربية هي لغة الصفوة من العلماء الراسخين،
فيتكلمون بها ويؤلفون في كل العلوم وسائر الفنون المختلفة، ومنها اللغة والأدب، وقد
بلغ من تفوق طلبة العلم في اللغة العربية وتذوقهم لها، ولعدوبة ألفاظها وجزالتها، إن
اتجهوا إلى قرض الشعر العربي - كما أسلفنا القول - وبرعوا فيه لأنهم كانوا يحاولون
مضاربة القصيدة العربية الجاهلية والعباسية القديمة، ويحاكون الشعراء الفحول أمثال
امرئ القيس والنابغة وطرفة وزهير والمتنبي وأبي تمام وغيرهم.

الشعر الهوساوي العربي:

تأثرت بلاد الهوسا* مثل بقية مناطق السودان الغربي بالمد العربي الإسلامي،
فشهدت "في الربع الأخير من القرن الخامس عشر الميلادي تحولات خطيرة، وحركة

¹ - أحمد محمد كاني: الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة. مصر، ط1،
1987، ص33.

* - سمي شعب أو قبائل الهوسا بهذا الاسم المركب (الهو/ سا) أي راكب الثور، لأن هؤلاء الأقوام
كانو يستخدمون الثيران كوسيلة للنقل والترحال، وهم الذين يتركزون على طريق الحج التقليدي
بين الشمال والشرق، الذي يمر بالصحراء، في شمال نيجيريا وجنوب شرق النيجر، ويتوزعون أيضا في
عدد من البلدان الإفريقية كالكاميرون، كوت ديفوار، تشاد، توغو، غانا، الغابون، السنغال، وغيرها،
ويتحدثون باللغة الهوساوية، أكثر اللغات الإفريقية انتشارا، وصارت تكتب بالحرف العربي منذ دخول
الإسلام إلى هذه البلاد قبيل القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، واندجحت مفرداتها معا، بل
أن العربية صارت محببة أكثر، عندما فضلها الصفوة من العلماء، حيث يتكلمون بها ويؤلفون بها كتب
التاريخ واللغة والأدب والعلوم الأخرى، كما ترتبط اللغتان بعلاقات الانتماء إلى الأصل الواحد،
والحوار والتأثر منذ قرون بعيدة، التجارة والإسلام شاهدان عليها، ولغة الهوسا ثرية بآدابها وفنونها،
شعرها ونثرها، وقد اشتغل أهلها بالتأليف والترجمة، فزادها ذلك قيمة وشيوعا، وقد اعتنق الهوساويون



أثر الثقافة العربية الإسلامية في اكتساب العربية ----- د. رياض بن الشيخ الحسين

إصلاحية عظيمة قادها بعض السلاطين، مثل سلطان كانو محمد رمفا، وسلطان كاتسينا محمد كورو، وسلطان زاريا محمد رابو، الذين اعتنوا اعتناء كبيرا بإحياء الشعائر الدينية ومحاربة الوثنية وإضفاء الثوب الإسلامي على النظم السياسية، بالإضافة إلى توسيع قاعدة التعليم، وتشجيع العلماء لنشر العلم في بقاع البلاد المختلفة¹ ومن أبرز العلماء العرب الذين حظيت البلاد باهتمامه المتميز، الإمام جلال الدين السيوطي (1445-1505م) الذي كان يتواصل مع أقوامها وسلاطينهم، ويحثهم دوما على استشارة العلماء والأخذ بنصائحهم، لأنه كان على اطلاع واسع بالأحوال السياسية والاجتماعية بها، فكان شديد الحرص على ألا يحدد الحكم والحكام عن تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية والتقيد بتعاليمها²، وبانتشار اللغة العربية في ربوع بلاد الهوسا عرف الهوساويون الشعر ونظموه باللغتين الهوسية والعربية، وبقواعدهم الفنية الخاصة المؤسسة هي أيضا على البيت والصدر والعجز، ونظام العروض والقافية والبحر، ويفهمون الشعر على أنه رسالة ووعاء يصبون فيه أحوالهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، بأساليب فنية منمقة تفرقه عن الكلام المنشور، وهذا المفهوم لا يختلف كثيرا عن المفهوم العربي للشعر، فيظهرون تأثرهم البين، انطلاقا من تفاعلهم مع اللغة العربية كلغة مقدسة، تستمد قداستها من الإسلام والقرآن الكريم، من خلال التأثير الثقافي العربي الإسلامي في سكان ولايات الهوسا و تفاعل ثقافتهم ولغتهم خاصة مع هذا المد الإشعاعي، و سينعكس الأثر بداهة على كل ما له علاقة باللغة وعلومها ومن ذلك الشعر، حيث اتجه شعراء الهوسا الموهوبون

الإسلام، فبلغت نسبة المسلمين منهم ثمانية وتسعين بالمائة (98) وهم يفتخرون بهذا الانتماء، ويتعاطون مع العلوم العربية والإسلامية بشغف كبير وبشكل لافت.

¹ - أحمد محمد كاني: الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا، الزهراء للإعلام العربي، ص 35.

² - المرجع نفسه، ص 37.



أثر الثقافة العربية الإسلامية في اكتساب العربية ----- د. رياض بن الشيخ الحسين

والذواقون، إلى قرض الشعر العربي لأنهم كانوا يتميزون بالتفوق في التعاطي مع الدرس اللغوي، وحسن التذوق للغة العربية ولعدوبة ألفاظها وجزالة تعابيرها وأساليبها، فكان طبيعيا جدا أن يظهر أثر التفاعل بين اللغتين والأديين، وينعكس ذلك بصورة واقعية جليلة على جسد القصيدة المستقبلية، سواء من حيث الشكل المعماري أم من حيث الموضوعات، التي كان الشاعر الهوساوي يسترفدها من الواقع الاجتماعي، الذي صار يتغذى في أغلب جوانب حياته على ما تقدمه له المأدبة العربية الإسلامية من مشارب مختلفة، صقلت الطبيعة الأصلية وزودتها بأفكار ورؤى جديدة، ولا سيما في المجالات الدينية والعلمية والأدبية، فمن حيث الشعر، استطاع الشاعر أن يحتك بالقصيدة العربية، وبالتجربة الإبداعية القديمة بوجه أدق، فيظهر مستوى تعاطيه الفني والموضوعاتي، في إنتاجاته الإبداعية، التي لا تبعد كثيرا عن المستوى الجمالي الذي ارتقى إليه النص العربي، بل أننا نعثر أحيانا على الهنات ذاتها التي سقط فيها بعض الشعر العربي في مراحل معينة، مثل الخطابية والابتذال وغياب الصدق الفني والمباشرة، التي تصطنعها روح التعامل مع الموضوع المطروق، وتغيب التجربة الذاتية، التي تعتبر أسا مهما في إنتاج النص المفعم بالدفق الشعري والشعوري معا، وتشيع فيه حرارة الكلمة والمعنى معا أيضا، والمتفحص للنصوص المتداولة، سيجد اتحادا في سبب الضعف عند الجنسين العربي والهوسي، لأنهما نهلا من رصيد معرفي واحد، وبالطرق والمناهج ذاتها، إضافة إلى المفهوم العام المكرس لإبداع ولتداول النص الشعري، والمهم في هذا كله أن شاعر الهوسا، اطلع على ذخائر اللغة العربية، وخبر مكامن القوة فيها، ومسك بتلابيب أسرارها البلاغية، من خلال ما تلقاه من علومها، على يد كبار العلماء والراسخين، وأدرك محاسن وجوه استعمالها، من خلال أعمال فحول الشعراء الجاهليين والعباسيين، فاستقام عوده في قرض الشعر



أثر الثقافة العربية الإسلامية في اكتساب العربية ----- د. رياض بن الشيخ الحسين
العربي، بمحاذاتهم والسير على نهجهم، وقد زاده بسطة وتبصرة في اللغة حفظه للقرآن
الكريم والحديث النبوي الشريف، وإطلاعه على أساليبيهما المعجزة.
ومن هؤلاء الشعراء الهوسيين نذكر محمد البخاري بن الشيخ عثمان الهوساوي
الذي نثر له على قصيدة يمدح فيها عمه الشيخ عبد الله فودي نقتطف منها مقطعا يقول
فيه:

أصحت أم هاجت هواك منازل	عفى معارفها البلى وهواطل
"ثلاثامي أو بجن" ¹ * فما بها	إلا نعام ترتعي وفراعل
دار عهدت بها الحلول وكل من	أهوى معي والعيش غرض باجل
ولقد وقفت برسمها مستنجدا	عن أهلها والدمع مني سائل
لله درك هل وقوفك نافع	برسمها أم هل لدمعك طائل
ولقد حباك الدهر شيخا ما له	في العلم في تلك الأراضي مائل
أعني إمام العصر عبد الله من	ساد الشيوخ النبل مذ هو شابل ¹

يلاحظ القارئ المتفحص للمقطع أن الشاعر يجاري القصيدة العربية القديمة سواء
من حيث الشكل ونقص نظامها القائم على وحدة البيت وتعدد موضوعاتها وكذا التقيد
بمقدمة القصيدة، أي المقدمة الطللية، ونظم القصيدة على بحر الكامل، فيخيل للمتلقي
وكأنه يقرأ أو يستمع لشاعر من شعراء الرعي الأول، وهو ما نشهده أيضا عند شاعر

*- ثلاثامي - جن: اسمان لمكانين هما في الأصل قرنتان بولاية سوكتو.

¹ - صبري إبراهيم علي سلامة: أثر الثقافة العربية والإسلامية في أدب الهوسا، مجلة الدراسات الإفريقية،
معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة. مصر، العدد 2000/22، ص 31.

** - هو الذي تولى نشر الطريقة القادرية في غرب إفريقيا وفي أوساط نيجيريا على وجه الخصوص،
وسعى إلى لم شمل قبيلة "كنت" وجمعهم على كلمة واحدة بقيادته، توفي سنة 1811م.



أثر الثقافة العربية الإسلامية في اكتساب العربية ----- د. رياض بن الشيخ الحسين

هو ساوي آخر هو: "محمد بللو"، الذي يقتفي الأثر الفني والموضوعي القديم، حيث نلمح هذا متجليا في قصيدته التي يمدح فيها أحد كبار مشايخ الطريقة القادرية "السيد المختار بن أحمد الكنتي" قائلا:

ألم بساحة أحبابي وسادتي	وأشف الحنان بهم من كل إعنات
وأربع عليها وشم من مزن عارضها	برق الوصال وإدراك المسرات
وأنف الهوم وأشجانا تكابرها	فقد تخلت من وعث المعرات
وباكركر من صهباء صافية	بكف لا نزق الأخلاق لوات
وأحطط رجالك في أمن وفي دعة	فأنت آمن سرب وافر الذات
فلا عليك فقد جاورت ذا كرم	بمي المجاور من عات وفحتات ¹

وفي موضوع الرثاء يحتذي الشعراء حذو الشعراء العرب القدماء، حذو النعل بالنعل، فيضارعونهم في تفاصيل الغرض ومعانيه المتسلسلة، فيفتتح الشاعر مرثيته بالحديث عن الموت ومباغتته للإنسان وغدره في التفريق بين الأحبة، وذم الدنيا وشروورها، وأنها دار الفناء، وأن الآخرة هي دار القرار، ثم يتطرق بعد ذلك إلى ذكر محاسن الميت والثناء على صفاته "والظاهر أن فن الرثاء في نيجيريا في تلك الفترة كان أكثر من المديح، فلا يموت عالم أو أمير مشهور إلا أطلق الشعراء ألسنتهم ونظموا قصائد ومقطوعات يرثون بها الميت"² وهو ما نجده عند الشاعر عبد القادر مصطفى الذي يرثي محمد سيمبو إثر وفاته وهو أحد رجالات "الهوسا" العلماء، من بحر الوافر قائلا:

¹ - أحمد سعيد غلا دنت: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا من 1804م إلى 1966م، دار المعارف، القاهرة. مصر، 1982، ص 132، 133.

² - صبري إبراهيم علي سلامة: أثر الثقافة العربية والإسلامية في أدب الهوسا، ص 33.



أثر الثقافة العربية الإسلامية في اكتساب العربية ----- د. رياض بن الشيخ الحسين

محمد سيمو ذو علم وخال	فيا للمسلمين ليك خالي
بصدق الزهد في جاه ومال	فقد حمدت شمائله قديما
على باب المهيمن ذي الجلال	وحسن توكل وعكوف قلب
ولم تخطر له أبدا ببال	فما الدنيا لديه بذات قدر
صدود الحر عن رذل الفعال ¹	وقد مالت إليه فصائد عنها

كما نظم الشاعر محمد بللو مرثية هو أيضا من بحر الوافر يرثي فيها أخته وإخوانه الذين غادروا الدنيا إلى الآخرة حيث يقول:

تولى بالرزيات	أيا دهر لنا عات
قلوب كالبليات	فرققا بالقوارير
لوقع من ملمات	وهت أعشارها طرا
تكنينا بعبرات	ولا درت ليالينا
وإخوة وأخوات ²	وقد ذهبت بآباء

وقد كان لنساء المنطقة أيضا باع في نظم الشعر بعد أن استقام عودهن من خلال الإكثار من قراءة وحفظ أشعار العرب السابقين، ومنهن أسماء بنت الشيخ عثمان التي ترثي صديقتها عائشة بنت عمر زوجة محمد بللو في إحدى قصائدها، فتشتكي إلى الله ما ألم بها من هموم وأحزان لفقد عزيزة على قلبها وتمتدح فيها خصالها الحميدة وسمو مقامها في تقوى الله والعلم والورع ومما قالت، من بحر الطويل هذه الأبيات:

إلى الله أشكو من صنوف البلابل ثوث في سويداء لقلبي داخل

¹- المرجع نفسه، ص 34.

²- أحمد سعيد غلا دينت: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا من 1804م إلى 1966م، ص 140.



أثر الثقافة العربية الإسلامية في اكتساب العربية ----- د. رياض بن الشيخ الحسين

لفقد شيوخ قادة الدين سادة وأخواننا أخدان خير ونائل
وذكرني موت الحبيبة من مضى من الأخوات الصالحات العقائل
من الصالحات القانتات لربهم من الحافظات الغيب ذات النوافل
فزادت همومي وانفرادي ووحشتي وسكب دموع فوق خدي هواطل
لفقدي لعائشة الكريمة يا لها من امرأة حازت صنوف الفضائل¹
ومن المواضيع التي طرقها شعراء الهوسا وكانت متناسبة مع واقعهم المعيش
حديثهم عن الجهاد، وهو موضوع الساعة نظرا للاضطرابات الشديدة التي تسود المنطقة
وكثرة الحروب التي تدور رحاها من حين إلى آخر ما بين القبائل والممالك بسبب عرقي
أو ديني، فكانت هذه الأحداث فضاء رحبا للشعراء يسهمون فيه بتحريك الضمائر
وإثارة المشاعر والوجدان وإيقاظ الهمم، ويسلك الشعراء في ذكرهم لهذا الموضوع
مسلك القصيدة العربية القديمة، ولا سيما في استعمال الألفاظ والوسائل المستقاة من البيئة
العربية الصحراوية القديمة التي كان يستعملها العربي البدوي في خوض حروبه ومواقع
صيده مثل الرمح والسيف والسهم والفأس والدرع والكنانة وغيرها، وهي كلمات
لصيقة بالواقع السابق ومعبرة عن شطف وصعوبة الحياة الصحراوية القديمة حيث يتجلى
هذا في قول أحدهم على نسق بحر الكامل مثلا:

نصرا لنا برماحنا وسهامنا وسيوفنا ببطونهم والراس
أولادهم ونساؤهم مسيية ورجاهم مقتولة بالفأس²

¹ - المرجع نفسه، ص 142.

² - صبري إبراهيم علي سلامة: أثر الثقافة العربية والإسلامية في أدب الهوسا، ص 37.



أثر الثقافة العربية الإسلامية في اكتساب العربية ----- د. رياض بن الشيخ الحسين

فالشاعر هنا يسخر قريحته في دعوة قومه لخوض المعركة التي سيكون النصر فيها محسوما لصالحهم، ويحمسهم على الإقدام والانقضاض على الأعداء، وسي نسايتهم وأولادهم ورجالهم فهم غنيمة حرب يستحقونها.

وفي حديث الشعراء الهوساويين عن الجهاد والتحريض على القيام به يستحضرون المعاني الدينية الإسلامية والحقائق الشرعية، فقتلى القوم إنما هم شهداء وجراهم عند الله هو جنات الخلد، وفي ذلك دلالة على الإيمان العميق بالله والتعلق والعمل بشريعته، فنجد هذه الدلالات بارزة في قصيدة أنشأها الشاعر محمد بللو نقتطف منها الأبيات من بحر البسيط الآتية:

فن قتلوه بلـغوه مراده فطوبى له واللفظ والمسك أذفرا
فروح وريحان وجنة خلده وورث حورا من نساء حرائرا
ومن حلل الفردوس يكن جميعها حريرا وديباجا وذهباً مهصرا
فسبحان من جعل العدو ذريعة إلى درك مأمول لنا قد تعسرا¹

تبدو روح المقاومة والجهاد التي تسوقها الكلمات والتراكيب المستخدمة، يعلوها الحس بالاستماتة والحرص على الاستشهاد، المنبثق من المعاني والتعاليم الدينية الإسلامية التي اكتسبها الفرد في حياته الاجتماعية.

وقد كتب شعراء الهوسا أيضا في الشكوى والألم والحزن وفي الغزل، معبرين عن ميولاتهم وأحاسيسهم الذاتية، فتنتقل في هذا النوع ذواتهم من قيود التصنع والقوالب الجاهزة والنبرة الخطابية، ويبرز فيها الدفع الشعري الذي يصدر عن دفع شعوري، وعن تجربة ومعاناة ذاتية، تعكس صدقا في العاطفة وجمالية في التعبير، رغم ما يعتوره من نقص

¹ - أحمد سعيد غلا دنت: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا من 1804م إلى 1966م، ص 146.



أثر الثقافة العربية الإسلامية في اكتساب العربية ----- د. رياض بن الشيخ الحسين
في متانة الأسلوب وقوة السبك، ولعل ذلك يرجع إلى نوعية الثقافة والمناهج التي يتلقون
بها العلوم العربية.

فعندما تهيج أحاسيس الشاعر بالشوق والحنين، إلى الوطن الذي سامته يد العسف
الاستعماري، فمزقته كل ممزق، ونكلت بالمسلمين وأضعفت شوكتهم، وشوهت
الصورة الناصعة للمجتمع، لا يسعفه إلا التشكي والبوح عن الألم الذي يعتلج في صدره
ويمزق أوصاله، هذه المعاني نجدها تشيع عند شعراء الهوسا مثل الشاعر الجنيد في نصه
الذي يث في مواجهه من انحطاط الأوضاع وسوء الأحوال ببلده سوكتو، التي صارت
تشكو الوحشة والفراغ الرهيب، بعد أن كانت عامرة بأهلها، وكانت عاصمة يقصدها
كل الناس فيقول:

صارت مراتع للوحوش بعد أن كانت مقاصد حاضر أو باد
أموات فلست ترى بها أحدا سوى الحرباء لائذة على الأعواد¹
فيصور سوكتو كأنها تحولت إلى مراتع للوحوش الضواري والحرباء، وفي ذلك
دلالة على حياة ينعدم فيها الأمان والاطمئنان، وكل معاني الإنسانية.
ومن الشكوى أيضا الضراعة التي يتوجه بها الإنسان إلى خالقه لكي يخفف عنه ما
يجده من تألم وتأس لما أصابه من مرض لا يشفيه منه إلا هو سبحانه، فيتوسل إليه بصفاته
الأزلية، ويثني بعظيم قدرته وجلال سلطانه، كي يفرج عنه ما مسه من ضرر، هذه
المعاني يبرزها لنا الشاعر محمد ليما بن الوزير البخاري في نصه من بحر مجزوء الكامل
قائلا:

أشكو إلى الرحمن ما في الجسم من عرق مضر
يشكو الضعيف أذى الضعيف إلى القوي المقتدر

¹- المرجع السابق، ص 193.



أثر الثقافة العربية الإسلامية في اكتساب العربية ----- د. رياض بن الشيخ الحسين

يا رب إني مذنب	وإلى التجاوز مفتقر
يامن تفرد بالجلال	وبالكمال المستقر
قد مسني ما مسني	مما علمت من الضرر
عفوا وعافية معا	بمحمد خير البشر ¹

فالشاعر كما يلاحظ يغمره إحساس بالضعف وقلة الحيلة، فلا يجد سوى اللجوء إلى الله ضارعا وداعيا، أن يغفر له ذنوبه، ويشفيه مما كسبت يده.

ومن الأغراض الشعرية العربية العتيقة التي تداولها شعراء الهوسا أيضا الغزل، الذي يبرز فيه مستوى التعامل مع النص الشعري المتأثر بنوع الثقافة والتحصيل العلمي الإسلامي الذي كان ممارسا في تلك البيئة، فلم يرد الغزل - في اعتقادنا - إلا في شكل صور مسطحة تشي بضعف في الإحساس، وفتور في المشاعر، وضحالة في المعاني، تعكس ضمور هذا الغرض الذي لا يتجاوب مع راهنية القصيدة، ومع الواقع الذي تعيشه بلاد الهوسا، وكمثال على ذلك نورد نصا من بحر مجزوء الرمل للشاعر عمر إبراهيم يقول فيه:

يا حبيبي يا حبيبي	أصغ سمعا للحبيب
ها أتاك اليوم أني	صرت عظما في الشعار
ذهب اللحم بخارا	صاعدا من حر نار
ماثلا فوق سحابا	لا أرى ضوء النهار
وهو لا ينزل مطرا	أو يراك بجواري ²

¹- المرجع نفسه، ص 198.

²- المرجع نفسه، ص 201.



أثر الثقافة العربية الإسلامية في اكتساب العربية ----- د. رياض بن الشيخ الحسين

الشاعر في هذا المقطع، يحاول إبراز دور الحب، كغريزة أودعها الله في الذات الإنسانية، لتكون وسيلة للتآلف والتواصل فيما بين الناس، ولولاه لما كان الإنسان اجتماعيا بطبعه، وقد جعل للقصيد عنوانا يتناسب مع هذه الفكرة هو: "الكون موات لولا الحب"

ويمكن أن نستخلص مما سبق، أن التأثير العربي والإسلامي في المجال الأدبي والشعري خصوصا، لم يقتصر على نظم الشعر باللغة العربية فقط، بل تعدى ذلك التأثير إلى صياغة الشعر باللغة الهوساوية، فيظهر تأثره بالشعر العربي من حيث بناء القصيدة، أي الالتزام بالأوزان والبحور الخليلية، وتشير المصادر إلى أن أول ظهور للشعر الهوساوي المقلد للأوزان العربية كان في بداية القرن السابع الميلادي، على يد الشاعر "عبد الله ثقة" المقيم بمدينة "كانو" حيث كان يدرس الفقه والتصوف لطلبة العلم هناك¹، وقد اشتهر الشعر الهوساوي (أي المكتوب باللغة الهوسية) من حيث النظم بخمسة أنواع هي: الشعر الأحادي أو اليتيم - الشعر الثنائي أو التوأم - الشعر الثلاثي - الشعر التربياعي - الشعر التخميسي²، ولكل نمط من هذه الأنماط نظامه الخاص، الذي لا يبتعد كثيرا عن النظام الذي عرفه الشعر العربي، من حيث الشكل والمضمون أيضا - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - فيظهر من خلال ذلك كله تأثر الشعراء باللغة العربية ومجارات الشعراء العرب، وفي ذلك ما يعكس التعالق والتواصل المستمر الذي يربط منطقة جنوب الصحراء بالشرق والمغرب، وشدة الترابط ووثوق الصلة بين هذه الجهات التي كان يتوجها الإيمان وإرادة التوحد على أساس وحدة الدين.

¹ - مصطفى حجازي السيد حجازي: الأثر الإسلامي في شعر الهوسا - دراسة لمطلع القصيدة، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد 69/1961، القاهرة. مصر، ص 125.

² - أنظر صبري إبراهيم علي سلامة: أثر الثقافة العربية والإسلامية في أدب الهوسا، ص 41.



أثر الثقافة العربية الإسلامية في اكتساب العربية ----- د. رياض بن الشيخ الحسين

وقد أشار المؤرخون و الأدباء إلى أن أهل السودان الغربي، أخذوا من الأدب العربي بالكيفية ذاتها التي نهل بها العرب أدبهم في ذلك الزمان¹، فتفوقوا فيه وبلغ بهم الشأن حد التأليف والإبداع، ومؤلفاتهم تضاهي مؤلفات وإنتاج المسلمين العرب أنفسهم من حيث البعد المعرفي وكذا الفني والجمالي.

المصادر والمراجع:

- 1- إبراهيم علي طرخان: الإسلام واللغة العربية في السودان الغربي والأوسط، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة. مصر، 1969م.
- 2- إبراهيم طرخان: إمبراطورية غانا الإسلامية، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، القاهرة 1970م .
- 3- أحمد سعيد غلادنت: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا من 1804م إلى 1966م، دار المعارف، القاهرة. مصر، 1982م.
- 4- أحمد محمد كاني: الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة. مصر، ط1، 1987م.
- 5- الأمين محمد عوض الله: العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسنغي، دار المجمع العلمي بجدة، السعودية، 1979م.
- 6- ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت. لبنان، جزء1.
- 7- حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، دار النهضة العربية، القاهرة. مصر، 1963م.

¹ - الشيخ الأمين محمد عوض الله: العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسنغي، دار المجمع العلمي بجدة، السعودية، 1979، ص 179.



أثر الثقافة العربية الإسلامية في اكتساب العربية ----- د. رياض بن الشيخ الحسين

- 8- ابن فارس: الصحاح في فقه اللغة، تحقيق مصطفى الشوملي، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت. لبنان، 1964م.
- 9- أبو القاسم الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس، بيروت. لبنان، ط5، 1986م.
- 10- عبد الرحمن السعدي: تاريخ السودان، طبعة هوداس، أنجي. فرنسا، 1964م.
- 11- أبو عبد الله البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، مكتبة المثنى بغداد - العراق. د ت.
- 12- محمد الغري: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، دار الرشيد، بغداد. العراق، 1982م.
- 13- محمد الصغير الإفرائي: نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي، تحقيق: عبد اللطيف الشاذلي، كطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1998م.
- 14- محمود بن الحاج المتوكل كعت: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، نشر هوداس، باريس. فرنسا، 1964م.
- 15- محي الدين صابر: العرب وإفريقيا. العلاقات الثقافية، المكتبة العصرية، بيروت. لبنان، 1987م.
- 16- مسعود عمر محمد علي: تأثير الشمال الإفريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي فيما بين القرنين 8 و 10 الهجريين، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس. ليبيا، ط1، 2003م.
- 17- مطير سعد غيث أحمد: الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال 10 و 11 هـ - 16 و 17 م، دار الكتب الوطنية، ليبيا.



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة الجزائر -

رت م د: 1112-4040، رت م د إ: X204-2588

المجلد: 33 العدد: 01 السنة: 2019 الصفحة: 441-468 تاريخ النشر: 2019-05-30

أثر الثقافة العربية الإسلامية في اكتساب العربية ----- د. رياض بن الشيخ الحسين

18- الهادي مبروك الدالي: التاريخ الحضاري لإفريقيا في ما وراء الصحراء من
نهاية القرن 15 إلى بداية القرن 18 جامعة القاهرة . مصر، ط2، 2001م.

المجالات:

1- صبري إبراهيم علي سلامة: أثر الثقافة العربية والإسلامية في أدب الهوسا،
مجلة الدراسات الإفريقية، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة. مصر،
العدد 22-2000 م.

2- مصطفى حجازي السيد حجازي: الأثر الإسلامي في شعر الهوسا - دراسة
لمطلع القصيدة، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر، العدد 69/1961م.